

الطرح الوطني للهوية الوطنية

أ.د: إبراهيم مهديد
جامعة وهران

مقدمة

عندما يطرح النقاش حول موضوع "الهوية الوطنية الجزائرية"، فإن ذلك يثير بالضرورة الجدل الذي دار حول مفاهيم تتعلق "بالكيان الجزائري" و"الأمة الجزائرية" و"الدولة الجزائرية" -تاريخيا- مع مفهوم "الشخصية الجزائرية" ومقومات هذه الشخصية، وصولا إلى الشعور والضمير والوعي الوطني، وغير ذلك من المرادفات السوسيو- تاريخية والفلسفية التي تدخل في هذا الحيز.

وذلك الجدل هو الذي أوضح تباين المواقف التاريخية المعروفين واصطدامهما، والمتمثلين أساسا في النظرية الاستعمارية والعسكرية السلبية من ناحية، والنظريات والمواقف الأكاديمية الإيجابية من ناحية أخرى أثناء تطرقها لهذه المواضيع؛ ويرفق هذا الموقف الأخير "السعي الحثيث والموضوعي" الذي تؤكد مواقف المدرسة التاريخية الجزائرية الناشئة¹.

1- من مؤسسها في نظرنا هناك لشرف مصطفى، سعد الله أبو القاسم، مراد علي، مالك بن نبي، قداش محفوظ، شنيقي محمد، تقيّة محمد، تركي رايح، قنان جمال، منور صم، بلحميسي مولاي، حاجيات عبد المجيد، مزبان عبد المجيد، ركيبي عبد الله، مغربي عبد الغني، ساحلي محمد شريف وجندرمعي الدين (...) ويساهم حاليا داخل هذه المدرسة الفتية أساتذة أكاديميين من جامعات وهران وقسنطينة والجزائر العاصمة.

1- طروحات النظرية الاستعمارية والنظرية الأكاديمية

فالنظرية الاستعمارية والعسكرية تمثلت خصوصا في طروحات المؤرخين والكتاب والمحاولين الفرنسيين مثل بول آزون، ولوي رين، وبوسكي، وبيليس وأرنو، وشارل فيرو، وتروملي، ووليام مارسلي، وروبير آرون، وسودران، وستيفان كسال، وغيرهم¹؛ ممن ادعوا بأن الجزائر لم تكن مستقلة ومتحدة، منكرين شخصيتها التاريخية وسيادتها السياسية في السابق؛ إذ اعتاد هذا الصنف من المؤرخين والمحاولين تناول "الجزائر" في كتاباتهم كمنطقة جغرافية تعاقبت عليها الحضارات فقط، ولا يؤرخون للجزائريين كسكان لهذه المنطقة؛ كقوة فعالة أثرت وتأثرت حضاريا ثقافيا اجتماعيا وسياسيا، بل أكثر من ذلك فإنهم حاولوا أن ينالوا من رسالة "الإسلام" في الجزائر. فقد وصفوا حامله بالعدوان واتهموا معتنقيه بالتعصب، محاولين خلق العنصرية والطائفية لذبذبة الأفكار وزعزعة الوحدة.

وعلى العكس من ذلك فإن أصحاب النظريات والمواقف الأكاديمية –والإيجابية- بالنسبة لتاريخ الشعب الجزائري وحضارته، فقد تناولوا مختلف تلك المواضيع بطريقة موضوعية وعلمية، فأقروا بوجود "الأمة الجزائرية" و"الشعب الجزائري" قبل الاحتلال الفرنسي؛ ودافعوا بكتاباتهم المختلفة أن القبائل الجزائرية واتحاداتها (Fédérations) كانت تعرف فكرة "القطر الواحد" التي تشكل "قاعدة الأمة"، وأن فكرة "الضمير المشترك" بين الجزائريين كانت موجودة في ظل تحالفهم مع الخلافة العثمانية وذلك منذ 1516. وهؤلاء

¹ - من المعروف أن فترات البحث في تاريخ الجزائر المعاصرة قسمت من طرف الفرنسيين إلى عهدين كبيرين وهما "فترة الكتابة العسكرية وتمتد من 1830 إلى 1880" و"فترة الكتابة المختصة من 1880 إلى 1954"، طالع ستيفان كسال، "التاريخ ومؤرخو الجزائر"، باريس 1931، قارن سعد الله (أبو القاسم)، "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزائر"، 1987.

"المؤرخون" الإيجابيون ينصفون "الأمة الجزائرية" عندما يعترفون بأن "الدين" قد لعب دورا حضاريا مهما في تاريخها وأنه ظل مؤثرا في حياة حركتها الوطنية، مبعدين تفسير هذه الحركة عن "التعصب الديني" أو "المرابطية" حين مقاومتها للاحتلال الفرنسي.

ومن بين هؤلاء المؤرخين هناك من الفرنسيين بول غافريل وبوليو ومارسيل ايميري وغيرهم من الباحثين المعاصرين "كجيلبير مينييه" و"جون كلود فاتان" و"كلود كولو"؛ ومن الإنجليز نشير بالخصوص إلى "بانيسدير" و"برواني" و"باربور" الذين اعترفوا بوجود الأمة الجزائرية ودافعوا عن حقها لحكم نفسها، ولاموا السياسة الفرنسية الذين حاولوا تحطيم "كل رموز وطني" في الجزائر¹.

2-موقف المدرسة التاريخية الجزائرية

وتركز المدرسة التاريخية الجزائرية في طرحها حول وجود "الأمة الجزائرية" بوجود "دولتها" منذ 1516 وحتى 1830، هذه الدولة التي تقوم على الوحدة الجغرافية والاقتصادية والسياسية للبلاد، أصبحت الوحدة الفكرية والروحية التي نشأت من زاوية منذ "القدم"، وقامت من زاوية أخرى منذ الفتوحات الإسلامية. إذ يعتبر دخول الإسلام إلى منطقة المغرب الكبير عامل وحدة. "فالإسلام" هو الذي منح تفكيرهم وشعورهم والإيمان الذي وجه حركتهم وسلوكهم، وبالتالي فقد أعطى الإسلام للجزائريين حضارة كاملة، ساهموا هم الآخرون مساهمة فعالة في تقويتها وتمكينها.

¹ - طالع سعد الله (أ) "الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ط 1، بيروت، 1969، صص 87-88.

وتعزز "المدرسة الجزائرية" مواقفها عندما تطرح مسألة "تحالف الجزائريين مع الدولة العثمانية" منذ أوائل القرن السادس عشر، خاصة عندما تحاول المدرسة الاستعمارية وصف "هذا التحالف الإداري بوجود العثمانيين في الجزائر" "بالاستعمار". فالمدرسة الجزائرية تدافع عن هذا التحالف مع الخلافة الإسلامية وتؤكد أن هذا التحالف جاء "تاريخيا" بناء على طلب الجزائريين أنفسهم أمام حملات الغزو الإسبانية والبرتغالية التي احتلت شواطئ من سواحل الجزائر، وهددوا منطقة المغرب العربي بالاحتلال. وتجتهد المدرسة الجزائرية في خطابها عن طبيعة تحالف الجزائر مع الخلافة منذ أوائل القرن الثامن عشر، عندما بدأ التحالف ينتهي تلقائيا وتديجيا « ذلك أن الخلافة، بعد ظهور المسألة الشرقية، قد وجدت نفسها في حالة خطر دائم ولا سيما مع روسيا وبريطانيا والنمسا. ولم يعد في استطاعة الخلافة أن تساعد ماديا... وبالإضافة إلى ذلك فإن الجزائر نفسها لم تعد في حاجة إلى هذا التحالف. ذلك أنها أخذت شيئا فشيئا تبني أسطولها وتحصن سواحلها وتنظم اقتصادها وتثبت كيانها السياسي وعلاقتها الدبلوماسية. ورغم ذلك فإن الجزائر قد أبقت على علاقتها الروحية بالخلافة والفكرية بالوطن العربي»¹.

وهذا الطرح يقودنا إلى خطاب المدرسة الجزائرية الواضح أن "وطننا الجزائر" ملك كل مقومات الكيان المستقل قبل الاحتلال الفرنسي، من جنسية وشخصية متمثلة في جيشها وعلمها ودولتها وبرلمانها وحدودها كما كانت تتبناه المفاهيم الدولية المعمول بها في ذلك الحين. فالهوية التي كانت تسوس وتنظم الجزائريين إذا، هي مبنية على

¹ - سعد الله (أ)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص62، قارن قداش محفوظ، الجزائر خلال العهد العثماني، المطبوعات الجامعية، 1991 طالع صص 105-180.

اعتقادين رئيسيين وهما الانتماء القومي إلى حضارة معينة بإيمانهم بالأمة العربية التي يتقاسمون معها التاريخ والثقافة والمصير والجغرافية مع الانتماء الوطني بانتمائهم إلى الجزائر؛ أي اشتراكهم في "ضمير وطني" علما أن الجزائريين في عهد الخلافة الإسلامية «لم يشعروا بضرورة تحويل عاطفتهم الذاتية وإلى قومية انفصالية إقليمية لأنه لم يكن هناك، في نظرهم، خطر خارجي على ذاتيتهم، ولكنهم شعروا مع الاستعمار الفرنسي، بخطر خارجي محقق على هذه الذاتية، ولذلك أظهروها في "شكل قومي" عنيف ثائر¹، أي حركة انفصالية عن فرنسا الأجنبية لا عن الحضارة العربية الإسلامية»².

إن الأمة الجزائرية كشعب يسكن القطر الجزائري يشترك في الشعور والتاريخ والثقافة من لغة ودين وتقاليد، تعززت بشعورها الوطني عندما تعرضت لخطر الاحتلال والاستعمار الفرنسي؛ إذ أنها وضعت في محتواها التاريخي كقوة سياسية تصارع من أجل البقاء، فالأمة الجزائرية «لم تكن واعية لخصائص وجودها إلا بعد أن أيقظ الاعتداء الأجنبي ضميرها الوطني، فالاعتداء... كان عاملا حاسما في الحركة الوطنية الجزائرية لا لكونه قد "خلقها" ولكن لأنه "أيقظها"³ وقواها. فالعاطفة الذاتية لدى الجزائريين قد تحولت إذن وبعد زمن طويل من نضج إلى ضمير قومي خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

¹- Cf Lachraf (M), L'Algérie, nation et société, Maspero, Paris, 1969.

²- سعد الله (أ) المرجع أعلاه، ص 68.

³- طالع سعد الله أ، الحركة الوطنية، ص 82، يثير سعد الله ضمن هذا الموضوع حقيقة تاريخية مهمة بالنسبة للحركة الوطنية الجزائرية عند مقارنتها بالحركات الوطنية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر ويؤكد «بينما نجد في حالة أوروبا خلال 1800-1830 أن القوات الوطنية اليونانية والبلجيكية والبولونية قد ربحت من توازن القوى الأوروبية، نجد القوات الوطنية في حالة الجزائر، مغزولة تماما عند الاحتلال الفرنسي، كما نجد أن توازن القوى الأوروبية لم يلعب دورا يذكر في صالح الحركة الوطنية، كما كانت الحالة في أوروبا والشرق الأدنى»، نفس المرجع....، ص 83.

إن الحركة الوطنية الجزائرية قد استفادت من جهاد الأمير عبد القادر كما غنمت من نشاطه السياسي والفكري، وصقلت خلال القرن التاسع عشر بأفكار المفكرين الجزائريين مثل سي حمدان بن عثمان خوجة الذي دافع عن الكيان الجزائري "حرا مستقلا" وعرفه تعريفا حديثا¹. كما استفادت من روح المقاومات المسلحة الريفية المتعاقبة (1830-1916) هذه المقاومات التي حافظت على الضمير الوطني حيا، ممثلة لاستمرارية الكيان الجزائري الذي حاولت عملية الاحتلال القضاء عليه كما أن الأدب الشعبي الجزائري غذى هو الآخر تلك الحركة الوطنية بأشعاره الحماسية معبرا عن أمجاد الجزائر الماضية، مثيرا للفخر الوطني ومكسبا ثقة كبيرة للأمة².

3- مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية

إلا أن متابعة الطرح بالنسبة للهوية الوطنية الجزائرية خلال القرن التاسع عشر "بوجود أمة" و"ضمير وطني" في القطر الجزائري يقودنا حتما إلى ربطها بمقومات الشخصية الجزائرية، وهي الثقافة التاريخية الحضارية التي تتمثل في اللغة العربية والدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي للجزائر. فالمحافظة على اللغة العربية من طرف المؤسسات التعليمية والثقافية الجزائرية التي بقيت وصمدت خلال القرن التاسع عشر والعقود الثلاثة اللاحقة من القرن العشرين تعني المحافظة على مقوم أساسي

¹ - طالع محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائر ومذاكرته، دار الثقافة بيروت-لبنان 1972. قارن سعد الله (أ) الحركة الوطنية، صص 35، 44، وطالع بالخصوص حمدان بن عثمان خوجة، "المرأة" باريس، مطبعة غوطشي فيلست.

² - طالع ديسبارمي (ج)، «ردود الفعل الوطنية في الجزائرية»، المجلة الجغرافية للجزائر وأفريقيا الشمالية، مجلد 37، 1932. طالع أيضا محمد بن شنب "حرب القرم والجزائريين"، المجلة الأفريقية، الجزائر العاصمة، عام 1907؛ وهي الحرب التي كتب عنها محمد بن اسماعيل الجزائري شعرا، سنة 1854 يشكر فيه الله على نصره السلطان العثماني ويفخر بهذا الحدث الإسلامي الذي تحقق بالجهاد والتضامن الإسلامي.

من مقومات الشخصية الوطنية، من طرف مؤطري المدارس القرآنية المختلفة¹، «ومعاهد التعليم العربي "الحر" التي قامت جميعها بدور رائع في المحافظة على بقائها وازدهارها ومنعها من موت أكيد»²؛ فأهداف تلك المؤسسات جميعها كان يتمثل في المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية، في "وجه سياسة الفرنسية" والتنصير والإدماج، التي سارت عليها سياسة الاستعمار الفرنسي، إذ اتجه ذلك التعليم العربي "الحر" اتجاهها لغويا ودينيا بصورة رئيسية والقضية الأساسية التي أصبحت الشغل الشاغل للمجتمع الجزائري طوال فترة الاحتلال... هي ضرورة الوقوف في وجه سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية³.

والهوية الوطنية اعتبرت "الإسلام" بين العوامل الجوهرية التي جعلت المجتمع الجزائري أكثر تماسكا ومقاومة، إذ أنه شكل أداة فعالة عبر العصور لتقوية الوحدة الوطنية والقومية بين الجزائريون. فخلال القرن التاسع عشر والعقود الأربعة من القرن العشرين لم يفصل الجزائريين بين الإسلام كدين وبين العروبة كقومية. فمفهوم "الأمة المحمدية" من ناحية هو عامل ترابط بين الجزائريين أنفسهم «لأن الدين الإسلامي هو الذي صاغ حياة الجزائريين... وخالط كل صغيرة وكبيرة في الريف والبادية والمدينة من حياة الجزائريين»⁴. وهو عامل ترابط أيضا بين الجزائريين والعالم العربي والإسلامي من ناحية ثانية⁵.

¹ - راجع مبحثنا "الجذور التاريخية الثقافية"، الجزائريون في عمالة وهران بين 1900 و1940 (الجذور التاريخية، الهوية والنشاط السياسي)، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة وهران، 2000.

² - تري (راج)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931، 1957)، صص 326-328.

³ - تري (راج) نفس المصدر، ص325.

⁴ - نفس المرجع، صص 56، 57.

⁵ - Meynier (G), L'Algérie révoquée, pp 242-243

كما شكلت الثقافة العربية الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي من جهة أخرى ثقافة المجتمع الجزائري القومية. ولذلك فهي من مقومات الشخصية الجزائرية الأساسية، فتاريخ الجزائر في ظل الإسلام والعروبة الذي امتد طوال أربعة عشر قرنا صاغ ضمير الجزائريين حيث أقاموا على أساسه حقيقتهم الاجتماعية وشخصيتهم الوطنية داخل كيان جغرافي شكل وطننا لهم في الأقاليم الجزائرية كلها ومنذ القدم.

ارتبطت الهوية الوطنية الجزائرية في تطورها التاريخي -وفي مرحلة لاحقة- من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمفهوم التضامن الإسلامي -والجهاد- والقومية الإسلامية. لذا أدرك الساسة والعسكريون الفرنسيون بأن "المؤسسات" الجزائرية كانت تحارب فرنسا، بوعي من هذا الشعور الديني، وأن عداوتهم المستحكمة للاستعمار الفرنسي يقف وراءها انتماءهم إلى الوطن الإسلامي العريض¹.

على أن البحث في القومية الإسلامية وبدايتها يقودنا في البداية إلى الجزائر. «فالجزائريون كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين، وبإصلاح الإسلام مستفيدين من التجربة الأوروبية، وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي، وقد كان "حمدان خوجا" الجزائري أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية؛ فهو الذي تحدى الأوروبيين في زمانه على أن الإسلام لا يتعارض في مبادئه الإسلامية للتجربة الأوروبية. كما برهن الأمير عبد القادر، كمحارب ومفكر، أنه

¹- طالع عز الدين (فودة)، المجتمع العربي، مقوماته، وقضاياه السياسية، القاهرة، 1966؛ قارن الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، 1957.

كان قوميا إسلاميا في اتجاهه»¹. ومهما اختلف جدل المؤرخين بالنسبة لمكان ميلادهما، الجزائر أو الشرق الأدنى، فإن حركة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني (1838-1897) ظهرت بشكل خاص في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذي تبناها باعتبارها أداة تضمن إلتفاف العالم العربي حول الخلافة العثمانية، فتأكد السيطرة العثمانية على الولايات العربية في وقت كانت الدولة العثمانية تفقد ولاياتها في منطقة البلقان باستمرار. كما كان عبد الحميد يهدف من وراء الجامعة الإسلامية إلى اتخاذها أداة للضغط على دول أوربا، إذ التفت حوله الشعوب الإسلامية العربية روحيا والتي كانت تسيطر عليها الدول الأوروبية الاستعمارية ومنها القطر الجزائري وتونس وطرابلس.

ومن الناحية السياسية فإن جمال الدين الأفغاني كان يبحث عن جامعة للتضامن الإسلامي تحقق معنى الوحدة في الثقافة والاجتماع والسياسة أكثر من تحقيقه كدولة مركزية. «هذه هي الوظيفة العضوية للشخصية الإسلامية المتميزة عند جمال الدين أمام وظيفتها السياسية، فهي طرد الأوروبيين عن ديار الإسلام والمسلمين. وقد ظلت هذه الفكرة محور تطلعات أكثرية المسلمين متراوحة بين الدولة المركزية (الدولة العثمانية) واللامركزية (الجامعة الإسلامية العثمانية)»²، فالأفغاني الذي كان يدعو إلى ضرورة وحدة صفوف المسلمين شعوبا وحكومات للوقوف أمام الزحف الأوربي «وضع مخططا شعبيا - كان منبره جريدة "المنار" في القاهرة- لحركة الجامعة

¹ - سعد الله (أ) الحركة الوطنية...، ص130.

² - السيد (رضوان)، «عصر النهضة العربية: الأسئلة الكبيرة والأجوبة الحائرة»، ضمن مجلة الفكر العربي، عدد 39 وعدد 40، أكتوبر 1975.

الإسلامية، يستند على أسس وطنية يعمل على الصعيد السياسي مباشرة ضد النفوذ الأوربي المتغلغل، إلى جانب الدعوة الإصلاحية ضد المساوى الدينية والاجتماعية التي دخلت المجتمعات الإسلامية»¹.

وتابع محمد عبده (1849-1905) مع رشيد رضا (1865-1935) نهج جمال الدين الأفغاني، وتزعم حركة إصلاحية واسعة منطلقا للرسالة الدينية في حملة شنها لتطهير الدين من البدع والمنكرات، فهاجم دجل أصحاب الطرق الصوفية وممارسة السحر واستغلال سذاجة العامة وحارب التشفع بالأولياء والتوسل بهم وهدم عقيدة الجبر. فتاريخيا يسجل الجزائريون قدوم محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903 واستقباله من طرف العاصميين -ابن لكحل في بيلكور- واجتماعهم به، كما فعل مع رجال الفكر والسياسة من قسنطينة وتلمسان.

فالجزائر رغم غلق أبوابها واضطراب حياتها الوطنية، فإنها ظلت حلا لدعاية القومية الإسلامية منذ أواخر الثمانينيات من القرن التاسع عشر.

وخلفت كل من جريدة "المنار" "العبودية" و"اللواء" التي يصدرها مصطفى كامل والمعروف بنزعته القومية الوطنية المصرية و"المؤيد" للشيخ علي يوسف، أثرا قويا على رواد الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الجديد؛ إذ اعتبروها وريد الحياة الذي وصلهم بالشخصية العربية الإسلامية

¹ - أنيس (محمد)، الدولة العثمانية والمشرق العربي (1914-1514)، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ؛ قارن سويدان (أحمد محمد)، «محمد عبده والنهضة العربية الإسلامية»، ضمن مجلة الفكر العربي، نفس العدد، نفس السنة، ص163.

كما « كشفت تلك الجرائد والمجلات -ك"كوكب الشرق" و"الجهاد" و"السياسة اليومية"- للشبيبة الجزائرية عن الحالة السياسية والاجتماعية والدينية في سائر البلاد العربية ولا سيما في مصر، وأثبتت لمواطنينا -الجزائريين- أن مشاكل إخوانهم الشرقيين لا تختلف عن مشاكلهم»¹. فكانت صلة رواد الحركة الإصلاحية بالجزائر أمثال محمد بن مصطفى الخوجة وعبد القادر المجاوي، وعبد الحليم بن سماية، بمجلة "المنار" جد وثيقة؛ حيث عبر هؤلاء لمحمد عبده نفسه عن هذا الإحساس العميق الذي يكنونه لهذه المجلة. و«قد وجد الشيخ له في تونس والجزائر حزبا دينيا ينتهي إليه من حيث لم يكن يعلم وأن الصلة بينهم وبينه مجلة المنار»².

ولقد كان تدفق الصحف والمجلات الشرقية على مقاطعات الجزائري يأتي من مصر بشكل مباشر أو يصل إليها عن طريق تونس والمغرب الذي كان ما يزال يتمتع باستقلاله. وهي الصحف والمجلات التي أعانت الجزائريين والمغاربة في برامجهم الإصلاحية وجعلتهم مرتبطين أبدا بالرأي العام العربي، بحيث أنها كانت تزيدهم شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي والإسلامي³. ولقد تنوع هذا التدفق الرائع

¹ - ناصر (محمد) «المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931»، الجزائر 1398 هـ-1978، ص56.

² - ناصر (محمد)، نفس المرجع، نفس ص، نقلا عن محمد رشيد رضا، «تاريخ الأستاذ الإمام»، ج 21، ص37. القاهرة، المنار، 1931.

³ - طالع مراد (علي) «تكون الصحافة الإسلامية في الجزائر»، ص23؛ قارن ابن شنب سعد الدين، «النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري»، نشرة كلية الآداب بالجزائر العاصمة، ع1، صص64، 65.

(³) فيما يخص القطاع الوهراني طالع مختلف التقارير لعامل عمالة وهران من مصلحة الشؤون الأهلية، م.أ.و.و. علب 2261 و4481 و6986 و6985؛ قارن أيضا : تقارير الحاكم العالم «حالة الرأي العام عند المسلمين»، فترة 1903، م.أ.و.و. علبة 4471.

Cf D.A.W.O, Boite 4471, rapport du gouvernement général sur «l'Etat d'esprit chez les musulmans» année 1903.

من الصحف والمجلات والكتب "كالفتح" لمحب الدين الخطيب، و"الهدى الإسلامي" لحسين محمد لخضر، و"الصواب". وهناك "النديم" من تونس، و"الجامعة العربية" و"القبس" و"الأيام" من سوريا و"الهداية" و"صدى الإسلام" من بغداد مع "العرفان" من لبنان وغيرها من العناوين التي تدفقت على الجزائر من سائر أنحاء البلاد العربية¹.

والصحف العربية الجزائرية تأثرت كثيرا بما تركته الصحافة العربية المشرقية في الفكر الجزائري عموما وفي فكر أطرها المحررة بشكل أخص فكانت "الفاروق" (1913-1915) لعمر بن قدور، و"الجزائر" مع "ذو الفقار" (1913-1914) لعمر راسم من الصحف التي اعتنقت الفكر الإصلاحي العبدوي صحبة فكرة "القومية الإسلامية". وعلى مستوى الغربي الجزائري هناك جريدة "الحق الوهراني" الأسبوعية (1911-1912) التي صدرت بمدينة وهران وحررت في أول الأمر باللغة الفرنسية، وبداية من عددها الواحد والثلاثين أضيفت لها صفحتان باللغة العربية. كما ألحقت هذه الصحيفة عنواها الرئيسي بـ "الفتى المصري"، واعتبرت هي الأخرى محمد عبده مديرا روحيا لها؛ والمحلل لاتجاه هذه الجريدة الوهرانية يلمس أن فصولها كانت تدافع عن حقوق المسلمين الجزائريين، رافضة لتجنيد الشباب الجزائري بكل وضوح، موضحة ما في هذه العملية من خطر عليه، بل أنها كانت محرضة الجزائريين إلى الوقوف ضده، لعدم السماح للسلطات الاستعمارية بتطبيقه. كما كانت تعالج نوايا المبشرين من الآباء البيض المسيحيين ضد الإسلام. أما فيما يخص "التجنيس" فقد أوضحت خطها المعادي ضده وأنذرت المجتمع

¹ - جريدة "الحق الوهراني"، عدد 28 أكتوبر 1911.

الجزائري بفطانة "من فتح تقسيم الجزائريين" وتمييز مسلمي المدن «عن مسلمي الأرياف والجبال وقبول أنصاف "الحلول مما سيرضي قسما من مواطنينا وهذه هي التجزئة الخطيرة بخلق فئات "[متشعبة] من المسلمين، مما يعني إقامة الحواجز التي يصعب اختراقها في المستقبل، "لا تسقطوا في هذا الفخ" ¹.

ولقد قامت "الصحافة الجزائرية الوطنية ك"الفاروق" و"ذو الفقار" و"الحق الوهراني" في هذا الإطار بتضمين صفحاتها العربية بفصول في الوعظ ونصيحة الأخ ودعوة الإصلاح داخل المجتمع الجزائري قصد استقامة وتصحيح ما لحق به من الشوائب: «إننا معشر الجزائريين قد قام بيننا أناس تخلقوا "بفساد التمدن الحديث وشرور الحضارة الجديدة... والتقاليد المضرة بالدين والوطن" والاقتداء بسياسة الغدر والتقلب التي يأبأها الشرف والهمة، فلا غرابة إذا قلنا أن "هؤلاء الناس هم تماثيل عيوب قاتلة وسهام على الآداب الإسلامية قاطبة" ².

وللحفاظ على هوية الجزائريين الوطنية ضمنت "هذه الصحافة الوطنية" أعدادها بمقالات ضد "سياسة التجنيس" وما لحق بها من مزاعم حقوق لبعض الجزائريين من النخبة فأندرت وحذرت واستمرت في انقاداتها لها: «إخواني لا تتكلموا على من يريد "تغريركم بقوله ولا تطمعوا في شربة ماء من سراب. وليس لكم في هذا المقام إلا "تبصير إخوانكم [المتحمسين للتجنيس أو الاندماج] في عواقب الأمور والاحتراز من "الوقوع في حبال الغرور" ³. وكانت تأتي النصيحة في أمور

¹-"الحق الوهراني"، عدد الحادي عشر إلى الثامن عشر أوت 1911.

²-"الحق الوهراني"، نفس العدد أعلاه، قارن صحيفة "الفاروق"، العدد 49، 1914.

³- أنيس (محمد)، نفس المرجع، ص 243، قارن انطونيوس (جورج)، يقضة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، بيروت، الطبعة الرابعة صص 168-175.

السياسة للجزائريين من طرف "الحق" بالعمل على "اقتسام كل عقبة كؤود تف في وجوهكم" و"ابذلوا قصارى الجهد في نشر وإعلاء الأفكار الهائلة لإنعاش كبوة الوطنيين والعروج لهم إلى معالي الأمور".

وتغذت "الحق الوهراني" فكريا بما عولج عن "الجامعة الإسلامية"، ودورها للدعوة الإسلامية التي قامت على الحج إلى بيت الله الحرام في "مكة" و"المدينة" والالتفاف حول الخلافة (السلطان عبد الحميد). والخلافة كما نعلم خلال العشرية الأولى من القرن العشرين كانت لآل عثمان باعتراف العالم السني، ولذلك فقد عمل السلطان عبد الحميد في هذين المجالين؛ فعمل على إحياء عظمة الخلافة الدينية واسترداد ما كان لها من الخلافة والهيبة والخطورة في العالم الإسلامي، كما عمد إلى استصراخ المسلمين إلى نصرته والالتفاف حوله وأخذ يهدد الدول الغربية بتحريك المسلمين في البلاد الخاضعة لها. فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا والمسلمون التتار والأكراد يهدد بهم روسيا، والمسلمون في الهند يهدد بهم إنجلترا والمسلمون في المغرب العربي يهدد بهم فرنسا¹. وقد كان السلطان عبد الحميد محبوبا في الجزائر ومنتظرا من الجماهير "كرجل الساعة"، والمنقذ، حتى أن السلطات الفرنسية قد لامت القومية الإسلامية على ثورتي عين التري عام 1901 وعين بسام عام 1906، وشددت رقابتها على الصحافة الواردة من الشرق العربي ومنعتها رسميا²، بحيث أن هذه الصحافة كانت تدعو الجزائريين باستمرار إلى رفض التغريب، وإلى الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين في وجه إمكانية التجنيس.

¹ - AGERON (Ch.R), politique libérale, in R.H.M.C, n° avril – juin 1959, p128

² - "الحق الوهراني"، عدد 39، من 6 إلى 13 جويلية 1912، طالع بتوسع معالجة هذا الموضوع من طرف جريدة "الفاروق" خلال سنة 1913.

ف "الصحافة العربية الجزائرية ك"الحق الوهراني" و"ذو الفقار" و"الفاروق" وغيرها" كلسان معبر عن شريحة من الطبقة البرجوازية المتوسطة والمحافظة تثبت إلى حد ما مرجعية "الجامعة الإسلامية" و"الحركة الإصلاحية" العربية قبيل الحرب العالمية الأولى، فرأت «أنه من "الواجب المحتم على عقلاء المسلمين في جميع أقطار العالم عقد المؤتمرات العديدة" التي تكون فروعاً من المؤتمر العالمي (الحج) الذي وضع دعائمه المولى سبحانه "وتعالى وإنشاء الصحف والمجلات وإرسال المبشرين لهذه الغاية الشريفة عملاً بأوامر "دينهم وأكثر المسلمين مسؤولية القيام بهذا الواجب...»¹ بل والدعوة إلى الجهاد و«المجاهدة في سبيل الله ورسوله بالمال والأرواح... أيها المسلمون ماذا انتم "فاعلون... هاهي [دول أوربا] اليوم قد قامت تهدد كيان الإسلام بالتعرض إلى معابده "المقدسة بينما نحن نيام، هاهي دولة القرصان الباغية إيطاليا الوحشية السافلة تحدثها "نفسها بمهاجمة الحرمين الشريفين والعبث بكرامتها...»².

وترى تلك الصحف الجزائرية العربية كلها وبكل تفاؤل أن إيطاليا «لم تجد نفعا ما في [غزوها] سواحل "طرابلس ولمهاجمة الأماكن المقدسة... وهو ما لا نتوقع حدوثه، وإلا رأينا مسلمي "البلاد العثمانية لا يلوون على محبة أو إخاء أو مدنية بل يهبون عن بكرة أبيهم "كالأسود الكاسرة للانتقام لدينهم وسرعان ما تتبعهم جميع الممالك الإسلامية... لا شك "ولا شبهة قط في أن الظهر سيكون حليف

¹-"الحق الوهراني"، نفس العدد أعلاه.

²-"الحق الوهراني"، نفس العدد المذكور.

العثمانيين لأنهم على أقل تقدير ببلادهم من "الكنائس وأربابها عشرات آلاف مرات ما قد يوجد من المساجد بالممالك الأجنبية"¹

فمن المنظور العقائدي الذي كان يعزز هوية الجزائريين العميقة، ألحت "الفاروق والحق الوهراني" على مرجعية "الجامعة الإسلامية" و"الاتحاد الإسلامي": «لأن كل مسلم في "أي قطر كان في العالم شرقا وغربا لا تفصله أية قوة عن الارتباط بهذه الوحدة" المذهبية الدينية إن تمسك بدينه، أما إذا انصرف عن شريعة وسنن هاديه الرسول "الأكرم وترك الارتباط بهذه الوحدة لا يبقى للإسلام أثر ولا تبقى لكلمة "الاتحاد" الإسلامي" معنى الشمول والتعميم»². ولعل اتجاه "الحق" المخلص هو الذي شجع بعض الكتاب الجزائريين الوطنيين مثل عمر راسم فراخوا يشاركون فيها بأقلامهم، داعين إلى التمسك بالشخصية الجزائرية العربية والإسلامية. ولم يكن عجيبا أن تبرز هذه الصحيفة بمثل هذه الروح في وقت نشط فيه من الناحية السياسية تيار "الشبان الجزائريين" المتفرنس والداعي إلى المساواة بالفرنسيين عن طريق الاندماج والتجنيس؛ "فالحق الوهراني مع الصحف الوطنية الأخرى ظلت مقاومة في خطها الوطني، داعية إلى الإصلاح من منظوره الإيجابي "كالإصلاح الإداري" و"المطالبة بالتعليم للجزائريين وحقوقهم المادية والمعنوية" و"الابتعاد عن زخرف المدينة الأوربية"³ السليبي.

فمن الأمور التي لها دلالتها بالنسبة للهوية الوطنية أن دعوة "الجامعة الإسلامية" لقيت نجاحا في الجزائر بالذات، ذلك أن الحركة

¹- "الحق الوهراني"، عدد 38، من 29 جوان إلى 6 جويلية 1912.

²- هي عنوان مقالات "الحق الوهراني" في عدة أعداد: "ينتقد بها الجريدة تلك السلوكات السلبية الدخيلة على المجتمع الجزائري".

³- طالع صحيفة "الأخبار" الصادرة بالعاصمة، عدد 14 أفريل 1912.

الوطنية في الجزائر كانت تصارع السيطرة الاستعمارية الفرنسية ومن الطبيعي أن تتطلع إلى تأييد دولة إسلامية كبرى كالدولة العثمانية، وأن تقاسم مآسي وتطلعات بلدان المغرب العربي، تونس، المغرب وليبيا، فالهوية الوطنية الجزائرية كانت حتى الحرب العالمية الأولى تعمل في محتوى ديني-ثقافي وسياسي واضح.

وعلى مستوى عمالات الجزائر فإن دعوة "الجامعة الإسلامية" قد وجدت صداها غربا في مدن كثيرة كمستغانم وتلمسان على غرار بعض مدن الشرق الجزائري، كعنابة وقسنطينة ووسطه كالجزائر العاصمة والمدينة، خصوصا بعد احتلال تونس من طرف فرنسا وغزو طرابلس الليبية من طرف إيطاليا عام 1911¹. فمن جهة وخلال أكتوبر 1911 كان للحرب الإيطالية العثمانية في طرابلس أثر على المواطنين الجزائريين الذين كانوا يتبعون الأحداث باهتمام² وحماس، مما حمل مسؤولو "الحق الوهراني" مع المتعاطفين عبر القطاع الوهراني لتأسيس لجانا "لللهال الأحمر" عبر العمالة قصد الاكتتاب لصالح المسلمين المتضررين من جراء الحرب وهذا على منوال اللجان الجزائرية المتوزعة في الوسط والشرق. واعتبرت أنشط اللجان، لجنة مدينة مستغانم التي جمعت أزيد من 3000 فرنك فرنسي خلال أسبوعين بعد تأسيسها، تلتها مدينة وهران فتلمسان. وفي 28 جانفي 1912 اجتمع شبه مؤتمر حقيقي في وهران حضره حوالي أربعين من مسؤولي تلك اللجان تحت رئاسة النائب العام ابن حميدة والذي قدم عرضا عن هذا الاكتتاب الذي بلغ 36.199 فرنك؛ اقتطع منه 1000 فرنك لصالح صحيفة "الحق الوهراني"، أما عملية الاكتتاب

¹ - م.أ.و.و، علبة 4471، تقرير الحاكم العام، شهر مارس 1913.

² - مثل من بينها مبلغ حوالي 34.4.000 فرنك من القطاع القسنطيني وحده.

العام هذه فقد حصلت على حوالي 410.000 فرنك¹، واعتبرت نموذجا في "التضامن الداخلي للجامعة الإسلامية" الأمر الذي أقلق الحاكم العام في الجزائر ولم يستطع منعها.

على أن التضامن الإسلامي -العربي أو المغاربي- ظل قائما في الجزائر شرقه أو غربه؛ إذ تتبع الجزائريون أحداث "الجلال" في تونس، وأحداث مراكش حيث تتبع أخبارها الندروميون والتلمسانيون² مع أهل الجنوب الغربي باهتمام كبير. وحس التضامن الإسلامي هذا سنلقاه سواء مع "الهجرة التلمسانية" عام 1911 إلى الديار الإسلامية أو مع عملية رفض التجنيد العسكري من طرف الأسر الجزائرية التي مس أبناءها في الغرب الجزائري. ونموذج ذلك الرفض لوحظ في ندرومة وضواحيها بهروب الشباب الجزائري المعنى ولجوئه عند قبائل بني زناسن وكبدانة³ وسط المغرب الأقصى سواء للحماية الظرفية من محاصرة الإدارة الاستعمارية لهم، أو لالتحاق كثير من شباب هذه المنطقة -مستغلة ظروف الحرب العالمية الأولى- للدراسة والتحصيل في المعاهد المغربية.

والجدير ذكره بالنسبة للشباب الجزائري خلال هذه الفترة وداخل الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري دينيا وثقافيا وسياسيا، هو حصول اتجاهات مختلفة عند هذا الشباب المثقف «إلى جانب جماعة النخبة المتجنسة والليبرالية "الفرونكوفيلية" (Francophile) والتي رددت نغمتها في العاصمة، هناك شباب جزائري في القطاع

¹ - طالع مختلف تقارير الحاكم العام عن "الحالة الرأي العام عند المسلمين"، فترة 1911-1912، م.أ.و.و، علية 4471.

² - نفس المصدر أعلاه، فترة 1912-1914، قارن: C.F.C.A.O.M à Aix En Provence, cart Oran 3331.

³ - أجرون (ش.ر)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج 2، ص 1043.

القسنطيني والقطاع الوهراني برز باتجاه مختلف¹ اتخذ موقفا معاديا للسياسة الفرنسية بالجزائر رافضا للتجنيس و"لواقع الاجتماعي" السيئ والمؤلم الذي يعيشه الجزائريون. وهذا الشباب هو صنف من المتعلمين والمتشبعين بالثقافة العربية الإسلامية² ومزدوج اللغة عاليا وواع بهويته الوطنية؛ استفاد من فرص التعليم بدرجات متفاوتة ولكنه ظل متشبثا بمظاهر الشخصية الوطنية الجزائرية وحريصا على عدم الانفصال عن قاعدته الاجتماعية. ويشمل هذا التمسك بالشخصية العربية الإسلامية مظاهر مختلفة من الناحية الفكرية والاجتماعية والدينية كالحفاظ على طابع اللباس والسلوك العربي الإسلامي، وتأييد الحركات الإصلاحية السياسية والدينية، أي تأييد لأي حزب، جمعية أو تجمع سياسي وطني يأتي في المستقبل مثل

¹ - ابتداء من العشرية الأولى من القرن العشرين، عرفت النهضة الثقافية الجزائرية بزور وإعادة طبع كثير من المؤلفات التاريخية مثل إنجازات أبي العباس أحمد بن عمار ("رحلة اللبيب"، العاصمة 1904)، وأبي عبد الله محمد ابن مريم ("البيستان"، مطبعة الثعالبية، العاصمة 1908)، والورثاني ("رسالة الشيخ الورثاني"، م.فانتانا، العاصمة 1908)، وأبي العباس الغبري ("عنوان الدراية"، م.الثعالبية، العاصمة 1908)، وأبي راس الناصري ("الحلل السندسية وعجائب الأسفار")، وابن هطال (رحلة الباي محمد الكبير)، وحمدان خوجا (مذكرات...)، والتنسي (تاريخ بني زيان)، والتلمساني (الزهرة النيرة)؛ إضافة إلى هذا هناك نشر العديد من الوثائق والرسائل والشعر الملحون، وكتب الفقه والنحو والأصول. وخلال عام 1907 نشر المثقف أبو القاسم الحفناوي موسوعته ("تعريف الخلف برجال السلف") وذلك في مجلدين حوت تراجم الشخصيات الوطنية التي ساهمت سياسيا واجتماعيا وثقافيا في تاريخ الأمة الجزائرية. وفي عام 1903 نشر الأمير محمد باشا (ابن الأمير عبد القادر) مؤلفه بمدينة الإسكندرية، عن حياة وراث الأمير عبد القادر تحت عنوان "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر".

² - C.A.O.M, cart 11H14, notice sur « les enseignants dans les département d'Oran » ; Cf l'Etude d' Alfred Bel, « l'Enseignement dans les grandes mosquées » : وهي عبارة عن تقرير عن المساجد الكبرى بين 1905 و1912، بصفته مفتشا عاما هناك إشارات مهمة عن محتوى التعليم الذي يمنح إلى الحضور من الجزائريين داخل المساجد الكبرى بمدن الغرب الجزائري، كمعسكر ومستغانم وهران وتلمسان وندرومة. تطلعنا التقارير عن إقبال المثقفين ("Les plus évolués") لحضور الدروس والجلسات العلمية إلى جانب موظفي السلك الديني. فالإ جانب "العدد المتزايد للحضور" -كما لمسنه داخل هذه التقارير- هناك ما يدل على مكانة اللغة العربية ومستواها الراقى من الجانب التربوي، بما يوجي عن المحيط والبيئة الثقافية الكبيرة في الجزائر. فمرجعية التدريس تناولت عموما "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" وإحياء علوم الدين للغزالي و"نفخ الطيب للمقري" و"ابن عثير" و"مقدمة عبد الرحمن ابن خلدون" وغيرها ك"ألفية مالك" و"تاريخ ابن الأثير" و"صحيح البخاري"...

حركة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "أو تجمع المؤتمر الإسلامي" أو جمعية نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري "المصالي".

وهذا الشباب المثقف الواعي والذي سيعبر عن اندفاعه الوطني بلجونه إلى "الصحافة الوطنية" ذات الانتماء "العربي-الإسلامي"، وهو الذي سيعمل على يقظة الرأي العام الجزائري لما كان يملك من شعور تام بقضايا الجزائريين وبصفتهم جزء من الأمة العربية، مسلم ومستعمر. ومن أهم اهتمامات صحيفة "الحق" و"الفاروق" و"ذو الفقار" خلال هذه الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، هو التصدي "للتجنيس" ومن يقف وراء "أصدقاء ابن التهامي" (كما تنعتهم) من شباب جزائري متفرنس و"لشمل الجزائريين"، ومقاومة "التجنيد العسكري الإجباري"، و"هجرة الجزائريين".

فأمام خطر "سياسة التجنيس" (La naturalisation) على المجتمع الجزائري، وما ارتبط به من الزواج من الفرنسيات، رأت "الحق الوهراني" في ذلك سهاما مصوبة نحو مقومات الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية؛ على الرغم أن عدد الذين تقدموا لطلب التجنيس لم يتعد 1131 شخصا من الجزائريين منذ تشريع سيناتوس-كونسلت عام 1865 وحتى 1899¹. "فالحق الوهراني" استنكرت مرارا ما كانت تدعو إليه صحيفة "الإسلام" الحكومية ومسؤولوها ومنشطوها من الشباب المتفرنس، "أنصاف-الفرنسيين". وحذرت "الحق" من الأخطار الماحقة التي تهدد المجتمع الجزائري المسلم من "فخ التقسيم": «ففيما يتعلق بالتجنيس، لا نريد إضافة أي رأي، وإذا رغبته أقلية من الأهالي، فإن القوانين التي تديره حاليا هي كافية

¹ - مرادع، "الإصلاح..."، ص406.

لنا»¹. تخوفت "الحق" كثيرا من "مشروع" الانقسام بين الجزائريين وبداية فقدان هويتهم الأصلية، فهي ترى أن تطور الفرد الجزائري، ومن ثم تطور الشعب الجزائري، يتم -بالتوازي مع تطور المجتمع الأوروبي- عندما يرفض هذه المحاولات التجنيسية أولا، وكل أشكال "الحريات الفرنسية" من مجالس سياسية وأساليب برلمانية متحضرة؛ وترى فيها "الحق" «عوامل تفرقة وانقسام ومحو سلاله -قومية- نهبا كل قوانا وجهودنا للحفاظ عليها»²

فالمحررون الوطنيون من خلال "الصحافة الوطنية" ظلوا مقاومين لحركة الفرنسية، ورفضوا كل محاولات الاندماج بالعنصر الغالب والامتزاج به. فتشبههم القوي بمقومات الشعب الجزائري الأصلية عدت بحق من الإرهابات الفكرية التي حاربت الاندماج والتجنس ما بين 1911 و1920 -وما بعدها- في الصحافة الجزائرية الإصلاحية، من بينها صحيفة "الفاروق" لابن منصور الصنهاجي التي بشرت "الحق الوهراني" في عددها 39 (من السادس إلى الثالث عشر جويلية 1912) بقرب صدورها؛ وبأنها «جريدة إسلامية سياسية علمية... والتي يحررها جمع من "نوابغ كتاب العربية... نحث إخواننا قراء العربية ومن يهم حال المسلمين أن يساعدوها ويسعوا في نشرها حتى تعم فائدتها بين جميع طبقات "الأمة الجزائرية" -نحن الذين سطرنا- المحتاجة للتربية والإرشاد وعلى الله الاتكال». شاطرت "الفاروق" طروحات "الحق الوهراني" بقلم عمر بن قدور الجزائري الذي اهتم بنفس القضايا بروح وطنية صادقة ونفس مؤمنة قوية، إذ نجده في مقال له تحت عنوان "طور جديد للجزائر والجزائريين" -

¹ - "الحق الوهراني"، عدد 10 أوت 1912.

² - نفس المصدر أعلاه، عدد 4 مايو 1912.

الفاروق عدد 20 فبراير 1914- يحذر المسلمين من الخطر الماحق الذي هددهم من جراء بعض الدعوات الجديدة التي تريد الأمة الإسلامية الجزائرية أن تمتزج "العائلة الفرنسية". ويرى أنه على «الشباب المتفرنج» إن كان يريد صلاح أمتهم بحق أن يدعوها إلى التثبث بملتها وقوميتها. فإن الاعتزاز بهما درجة أولى في سلم السعادة والرفاهية»¹.

خلاصة

كان موقف "الصحافة الوطنية باللغة العربية" اتجاه سياسة التجنيس والاندماج، يتماشى مع ما دافعت عنه كتلة المحافظين ومثقفها إذ سعت إلى لم شمل الأمة الجزائرية من شباب وطبقة المحافظين، فاعتنت كثيرا بطلاب "المدارس الإسلامية" (Medersas) ومدرسيهم، نابذة للتفرقة، ساعية للمصالحة بين فئات المجتمع المثقفة:

« ما من قوم تمسكوا بحبل الوفاق واعتصموا به إلا وسادوا على غيرهم. وما "من فئة اتخذت الحق سلما لها إلا وصلت إلى غاية محمودة. وما من جماعة سارت "إلى طريق الإرشاد إلا واهتدت. وما سبب انحطاطنا إلا بمخالفة ديننا. فإن الأقدمين "من الأمة المحمدية كانت أعلام العز تخفق على ديارهم وبلادهم أمام راية العدل، ولا "نطيع إلا من أعدل وأحسن إلينا. ويلزمنا أيضا التحبب والوفاق بيننا وأن ينظر كل "منا لنفع أخيه المسلم ووطنه المحبوب قبل كل شيء – نحن الذين سطرنا-...»².

¹ - ناصر محمد ، « المقالة الصحفية الجزائرية... »، ص366.

² - "الحق الوهراني"، عدد 18 أوت 1912.

كان سعي الصحافة الوطنية العربية من أجل التوفيق والمصالحة بين تيار "الشباب الجزائري" الليبرالي وتيار كتلة المحافظين السياسية هو الذي دفع الصحيفة إلى المطالبة بدعوة -الشباب العاصمي- لمناقشة "ميثاق مطالب مشتركة"¹ بين الأطراف تكون في صالح "الأمة الجزائرية" قوامه إصلاح النظام التمثيلي وتوسيع القاعدة الانتخابية وإصلاح "الضرائب العربية" جذريا، مع إصلاح النظام القمعي. فالتيار السياسي الذي تزعمته كل من "الحق الوهراني" و"ذو الفقار" و"جريدة الجزائر" و"الفاروق"، طالب في هذه الظروف الصعبة بالإلغاء الكامل لقانون "الاندجينا" والمحاكم الردعية على نقيض تيار صحيفة "الإسلام" الليبرالية، الذي اكتفى بمطالبة بإصلاحها فقط. أما بالنسبة لمسألة التمثيل السياسي لصالح الجزائريين، فإن جريدة "الحق" على عكس جريدة "الإسلام" لم تعره اهتماما، إلا أنها تخوفت من احتمال تمثيل الشعب الجزائري من طرف "المتجنسين" الجدد، والذين لم تلمس فيهم أي صفة وأي حق لكي يتزعموا هذا التمثيل في باريس، إن حصل.

¹ - نفس المصدر، عدد 17 فبراير 1912 (وغيره).